

ولئن لم يسمح المقام بالاستطراد إلى خواص الفكر المعاصر جملة فإننا نتجاوز التنبيه على ظاهرة معرفية تبدو لنا مستقبلية أكثر مما هي حضورية إذ نكاد نكون على اليقين بأن الفكر المعاصر على عتبة عصر معرفي جديد هو فجر الأصولية اللسانية .

فالسانيات اليوم موكول إليها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، ولكن أيضا من حيث إنها تمكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا ، ولا يتميز الإنسان بشيء تميزه بالكلام ، وقد حدّه الحكماء منذ القديم بأنه الحيوان الناطق ، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللسانيات - من جهة أخرى - صبغة الجاذبية والإشعاع في نفس الوقت ، فاللغة عنصر قارّ في العلم والمعرفة سواء ما كان منها علما دقيقا ، أو معرفة نسبية أو تفكيراً مجردا ، فباللغة نتحدث عن الأشياء وباللغة نتحدث عن اللغة - وتلك هي وظيفة «ما وراء اللغة» - ولكننا باللغة أيضا نتحدث عن حديثنا عن اللغة، بل إننا باللغة - بعد هذا وذاك - نتحدث عن علاقة الفكر إذ يفكر باللغة من حيث تقول ما تقول فكان طبيعيا أن تستحيل اللسانيات مولدا حركيا لشتى المعارف ، فهي كلما التجأت إلى حقل من المعارف اقتحمته فغزت أسسه حتى يصبح ذلك العلم نفسه ساعيا إليها . اقتحمت الأدب والتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع ثم اتجهت صوب العلوم الصحيحة فاستوعبت علوم الإحصاء، ومبادئ التشكيل البياني ومبادئ الإخبار ، والتحكيم الآلي وتقنيات الاختزان، وآخر ما تفاعلت معه من العلوم الصحيحة حتى أصبح معناها بها عنايتها به علم الرياضيات الحديثة